



موجز من المحاضر الرسمي للتدريب العملي الاجتماعي في بروكسل (Bruxelles)

اصبحت موظف مستأجر من قبل المركز العام للعمل الاجتماعي¹ في ليغال (Flémalle) عام 1983 . كنت قد انهيت تدريبي في العلاج العائلي² بمدرسة روما. هناك التقيت بأنا مربية نيكولو (Anna-Maria Nicolo) معالجة عائلية و هي مختصة أكثر في التحليل النفسي و كانت قد نصحتني بقراءة اعمال ايفان بوزرماني ناجي (Ivan Boszomenyi-Nagy). عام 1986 في احد المؤتمرات التقيت بماجدة ارمان (Magda Heiremann) معالجة عائلية و التي كانت قد تعرفت على ايفان بوزرماني ناجي و من دعته. كنت منبهرا به فطلبت من ماجدة كيف يمكنني استدعاؤه. اجابتنى انه يكفي ان نكتب له و ان كانت لدينا امكانية دفع اتعابه فانه سوف يأتي. هكذا تم قدوم ناجي حيث احيا اللقاءات السياقية³ البلجيكية لمدة عشرة سنوات من 1990 إلى 1998.

منذ عام 1983 كانت لدينا اجتماعات الشبكة في لياج (Liège) بين المعالجون العائليون حيث كنا نعمل في الخدمات التي كانت فيها المعالجة العائلية مركزة على العائلة النووية فقط لذلك لم تكن فعالة. ضمن تلك المجموعة كان هناك اناس من نوتردام ديزونج (Notre Dame des Anges) بمستشفى الامراض العقلية في غلان (Ghlin) وخاصة كلير لجوى (Claire Lajoie) و كذلك اناس من مركز الطب النفسي الاجتماعي⁴ و اناس من مستشفى لاسيتدال (La Citadelle) و كذلك اناس من مراكز الصحة العقلية الاخرى. كنا قد سئلنا من طرف القضاة : في ذلك الوقت لم يكن هناك بعد خدمة المساعدة للشباب⁵ ولا خدمة الحماية القضائية⁶ لكن كانت هناك مرشحات اجتماعيات من محكمة الشباب. هاذا يعني، سهم اخضر⁷. كنا ايضا مطلوبين كثيرا من طرف المختصين بالمدرسة (مدرسين، مسؤولي المدارس) الذين كانوا ينقلون لنا طلبات تخص العائلات التي يعرفونها. لكن في عام 1975 مارا سالفيني (Mara Selvini) كانت قد تعرضت لهذه المسألة اي مسالة الطرف الثالث، من ناحية الذي يرمي قطعة بطاطا ساخنة نتلقاها وكأننا نتلقى شيئا يحاول ازالته عبر تفويضات واسعة. في هذه المجموعة، بدأنا اذن بتطبيق ما تعلمناه في المعالجة العائلية : "الجينوغرام"⁸. بدأنا القصة هكذا : " انها حكاية فلنتان الصغير الذي كان لدى ابيه ابنتين كبيرتين و فلنتان كان يناديهما باخواته..." في ذلك الوقت كنا نرسم المدرسة التي تطلب من الام الحضور الى مركز الصحة العقلية. كان هناك ايضا مركز التوجيه التربوي⁹ الذي تم تحريكه من طرف القاضي لأننا كنا نعتبر الاختين في خطر. كنا نتساءل من كان خلف تحريك القاضي ؟ القاضي تم تحريكه من قبل المتدخلين من المركز الصحي الاجتماعي.

في وقت ما، انتبهنا الى كيفية تلوين الورق بلون واحد و لم نتمكن من التفريق بين الدينامكية الخاصة بالعائلة و التي تخص المهنيين و التي لا نستطيع تلخيصها بتمرير بسيط لقطعة بطاطا ساخنة. في الواقع هذه البطاطا كانت تنتقل من يد الى يد منذ وقت طويل و لو كنا انتبهنا و اخذنا بعين الاعتبار الاخوة لرأينا كيف بنيت الشبكات الكبيرة والتي لم تكن مفهومة حين كنا نستعمل دائما نفس اللون. هكذا تمكننا من التمييز، تعسفا، شبكة الذين يعملون معا و الذين يعيشون معا، كالعائلة و زملاء الطفل او صدقات الاختين الكبيرتين ايضا.

كما كان من المهم كذلك تمثيل الروابط التي توجد على مستوى السوسيوجينوغرام. لقد تعلمنا من سلفادور مينوشين

¹ CPAS Centre Public d'Action Sociale

² La Thérapie Familiale

³ Les Rencontres Contextuelles

⁴ Centre psycho-médico social

⁵ Service d'aide à la jeunesse

⁶ Service de protection judiciaire

⁷ Flèche verte CF. code couleur du « Sociogénogramme »

⁸ Génogramme

⁹ Centre d'orientation éducative

(Salvador Minuchin) كيفية رسم الحدود ضمن العائلة بين النظام الفرعي (بين الصغار والكبار...)، و أحيانا ببعض الاشارات كتمثيل العلاقات التنازعية برسم عاصفة رعدية او للإشارة الى العلاقات المندمجة برسم خطين... لقد تخيلنا عن هذه الاشارات التي كانت تدعو بشكل سريع لتفسير ما يمكننا ملاحظته ضمن العائلات. لذلك اقتصرنا بوضع الاوان. الأخضر، للتعبير عن ما يجري بين الاخصائين و اللون الأزرق، بين افراد العائلة (الرابط المهم بين الابن وأمه، روابط الصداقة بين اخوتيه الكبريتين و صديقة...) ولتوضيح كيف يتم تنشيط الروابط بين شبكة الذين يعملون معا و شبكة الذين يعيشون معا، استعملنا لونين : ألبرتقالي، حين يأتي الامر من طرف المدرّس او القاضي باتجاه العائلة و الأخضر، لما يكون الامر باتجاه الخدمات اما الأحمر، اذا كانت مبادرة التحريك ضمن العائلة مثلا اذا قام فلنتان بوضع المدرسة رأسا على عقب.

هكذا كانت بداية "السوسيوجينوغرام" وذلك بربط ما قامت به افلين لومير ارنو (Evelyne Lemaire-Arnaud) و (سلفدور منوشين Salvador Minuchin) على مستوى الجينوغرام و بما قام به جاكوب ليفي مورينو (Jacob Lévy Moreno) بالسوسيوغرامات.

في مدرسة المربيين الموظفين في نامور¹⁰ حيث مازلت اقوم بالتكوين في مجال المعالجة العائلية وفي ممارسة الشبكة، انضمت البنا عائلات. و اثناء عملنا معها، ادركنا اننا اذا ركّزنا فوراً على افراد العائلة، برسمهم اولاً و بوضعهم تحت الاضواء في المقدمة فهذا يؤدي الى انسحابهم. لذلك قمنا بعكس الادوار في مرحلة التعارف وفي تقديم السوسيوجينوغرام عن طريق تنظيم منهجي يمر عبر دائرة الشبكات. نحوم حول الحالة و لكن في وقت ما سيفرض علينا واقع وهو ان في بداية كل التحركات توجد طاقة بعثت من قبل عضو من اعضاء العائلة.

ناجي يصّر كثيراً على ان الحالات المصطنعة لا يمكن ان تكون بديلاً لحالات الحضور الحقيقي لأفراد العائلة : " طبعاً من الممكن القيام بحالات مصطنعة لكن لا يمكن ابدًا اصطناع الصلة التي تربط بين الام و ابنها لذلك ان اردنا تعلم كيفية العمل على جودة تطور العلاقة بين الام و ابنها يجب العمل مع الام و ابنها؛ لا استطيع ان اطلب منكم تأدية دور الاب او البنت لأنكم ، لستم الاب ولا البنت". لقد ادخلنا اكثر فاكثراً فكرة عمل الشبكة مع العائلات التي اضمت اليها : في البرابون فالون (Le Brabant Wallon)، مع فريق خدمة الصحة العقلية في وافر (Wavre)، مع لوك بارزال (Luc Parisel)، دومنيك تايس (Dominique Theis) و في فلمال (Flémal) مع لجان الادارات التي كانت تجمع كل خدمات البلدية. في عام 1996 عندما بدأت عيادات التشاورية في البرابون فالون، كان ذلك ايضا على الطريقة المستوحاة من فرانكو بزجلية (Franco Basaglia) في ترياست (Trieste). كان ذلك في نفس الوقت الذي دعيت فيه من طرف ازبيل فان جيز (Isabelle Van Guyse)، فرنسواز تيبو (Françoise Thibaut)، فيولان كنتين (Violaine Quintin) و جي لاوران (Guy Laurent) الى الالوات (Aux Alouettes). بدأنا في مركز التوجيه التربوي بما كنا نسميه بالإشرافات. لم اكن اشعر انني مشرف فائق اي شيء لذلك تحولت هذه التسمية شيئاً فشيئاً الى العمل العلاجي بالشبكة ثم الى "العيادة التشاورية"¹¹. كانت هناك وقتها ايضا "العيادة التشاورية" في اكسال (Ixelles)، بشارع الكردنال ميرسيي (Cardinal Mercier)، في قاعة الرعية حيث كان مركز خدمة الصحة العقلية مشاركا ايضا.

ومنذ ذلك الحين، انتشرت هذه الحركة الى : "جادوين (Jodoigne)، ركسونسارت (Rixensart)، برين اوكانت (Braine le Comte) ، وافر (Wavre)، باريس (Paris)، اورليون (Orléans)، فالنسيان (Valenciennes)، نيم (Nimes)، رويان (Royan)، مرسيليا (Marseille)، تورينو (Turin)، اليسندريا (Alessandria)، آستي (Asti)، البا (Alba)، الجزائر (Alger)، بومرداس (Boumerdes)، تيزي وزو (Tizi-Ouzou)، باماكو (Bamako)، الدوقية الكبرى بلوكسمبور ..."
(Le Grand-Duché de Bruxelles)

الدكتور جون ماري لومير (Dr Jean-Marie Lemaire)
مولينبيك سان جون (Molenbeek-Saint-Jean)، 26 جوان 2018

¹⁰ Devenu Institut Supérieur Provincial de Formation Socio-éducative

¹¹ Clinique de concertation